وقال مجاهد تمخر الريح السفن يعني انها اذا جرت يسمع لها صوت وقال الحسن
مواخر يعني مملوة متاعا وقوله تعالى ولتبتغوا اي لتطلبوا عطف على تاكلوا
وما بينهما اعتراض وقيل عطف على محذوف تقديره لتبتغوا بذلك ولتبتغوا
من فضله اي من سعة رزقه بركوبها للتجارة والوصول الى البلدان الشاسعة
ولعلكم تشكرون الله على هذه النعم التي انتم عاجزون عنها لولا تسخيره
ثم انه تعالى ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الارض بقوله تعالى والقى في
الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد اي كراهة ان تميل وتضطرب
بكم وقيل لئلا تميل بكم والاول قدره البصريون والثاني قدره الكوفيون وقد
تقدم مثل ذلك في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا روي انه تعالى خلق الارض
فجعلت تمور فقالت الملئكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال لم تدر الملئكة مم خلقت وقوله تعالى عطف على رواسي لان الالقا بمعنى
الخلق والجعل الا ترى انه تعالى قال في اية اخرى وجعل فيها رواسي من
فوقها وقال تعالى والقيت عليك محبة مني وذكر تعالى الانهار بعد الجبال
لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال وجعل لكم فيها انهارا
اي طرقا مختلفة تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى
بلد ومن مكان الى مكان ولعلكم تهتدون اي تسلك السبل الى مقاصدكم
والى معرفة الله تعالى فلا تضلون وجعل لكم فيها علامات اي من
الجبال وغيرها جمع علامة تهتدون بها في اسفاركم ولما كانت الدلالة
بالنجم انفع الدلالات واوضحها برا وبحرا ليلا ونهارا نبه على عظمها بالالتفات
الى مقام الغيبة لابهام العموم لئلا يظن ان المخاطب مخصوص والامر لا
يتعداه فقال وبالنجم اي الجنس هم اي اهل الارض كلهم واولى الناس بذلك
المخاطبون وهم قريش ثم العرب كلها لفرط معرفتهم بالنجوم يهتدون
وقدم الجار تنبيها على ان الدلالة بغيره بالنسبة اليه سافلة وقيل المراد
بالنجم الثريا وقيل الفرقدان وبنات نعش والجدي وقيل الضمير لقريش
لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتدا في مسايرهم بالنجوم
ولما ذكر سبحانه وتعالى من عجايب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب
الاحسن والنظم الاكمل وكانت هذه الاشيا المخلوقة المذكورة في
الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه تعالى
المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل
بعبادة هذه الاصنام العاجزة التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شي
افمن يخلق اي هذه الاشيا الموجودة وغيرها كمن لا يخلق شيا
من ذلك بل هي لا ايجاد شي فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادة من لا
يستحق العبادة ويترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى

فان قيل



فان قيل ذلك الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا
غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق اجيب بانهم
لما جعلوا غير الله مثل الله تعالى في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه
فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وتشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله تعالى
افمن يخلق كمن لا يخلق فان اريد من لا يخلق انا ريد به جميع ما عبد من دون الله كان
ورود من واضحا لان العاقل يغلب على غيره فيعبر عن الجميع بمن ولو جي ايضا بما
لجاز وان اريد به الاصنام فلم جي بمن الذي هو للعلم اجيب بانهم سموها الهة
وعبدوها فاجروها مجرى اولو العلم الا ترى الى قوله تعالى والذين تدعون من
دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون والى قول الشاعر
بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي ... فقلت ومثلي بالبكا جدير
اسرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلي الى من قد هويت اطير
فاوقع من على السرب لما عاملها معاملة العقلا وقيل للمشاكلة بينه وبين من يخلق
وقيل المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده
كقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم
ارجل وايد واذان وقلوب لان هولا احيا وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة
لا انها لو صحت لهم هذه الاعضا لصح ان يعبدوا ولما كان هذا القدر ظاهرا غير
خاف على احد فلا يحتاج فيه الى تدقيق والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم
وعقل ختم تعالى ذلك بقوله تعالى افلا تذكرون بما تشاهدونه من ذلك
ولو من بعض الوجوه فتؤمنون تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية
على ان العبد غير خالق لافعال نفسه لانه تعالى ميز نفسه عن الاشيا التي
يعبدونها بصفة الخالقية لان الغرض من قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق
بيان تميزه عن هذه الاشيا بصفة الخالقية وانما استحق العبودية والالهية
لكونه تعالى خالقا وهذا يقتضي ان العبد لو كان خالقا لشي لوجب كونه الها
معبودا ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد لا يقدر على التخليق والايجاد ولما
كانت المقدورات لا تحصر واكثرها نعم على العباد منة كثيرة لهم بخالقهم
قال ممتنا عليهم باحسانه من غير سبب منهم وان تعدوا اي اكلكم
نعمة الله اي انعام الملك الاعظم الذي لا رب غيره عليكم من صحة البدن
وعافية الاجسام واعطا النظر الصحيح والعقل السليم وبطش اليدين
ومشي الرجلين الى غير ذلك مما انعم به عليكم وما خلق لكم مما تحتاجون
اليه من امر الدنيا حتى لو رام احدكم معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز
عنها وعن معرفتها وحصرها فان شعبها يفوت الحصر لا تحصوها اي
لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم مع كفرها واعراضكم جملة عن شكرها
والعبد وان اتعب نفسه في القيام بالطاعات والعبادات وبالغ في شكر

Copyright ... University